الفصل الخامس
الصفدي النحوي

obeikandl.com

obeikandl.com

أشار الصفدى إلى أنّه كتب فى النحو كتابين ، هما :

- التعليقة على الحاجبية [١] .

- ومعانى الواو [٢] .

وتشير بعض مصادر ترجمته إلى أنَّ له :

- تكملة شرح كتاب تسهيل الفوائد [٣] .

ومن المؤسف أنّه لم يصل إلينا من هذه الكتب الثلاثة شيء وفى الغيث المسجّم بعض النقول من الكتابين الأولين ، وأمّا الكتاب الثالث فلا أعلم عنه شيئا ، وليس فى استطاعة الباحث أنْ يعيّن الموضع الذى بدأ منه الشرح - إنْ صحّ أنّ له حصّة فيه - فمن الملاحظ أنَّ الصفدى قد ذكر شرّاح التسهيل ، ومنهم :

* ابن مالك نفسه [٤] ، وكان شرحه كاملا عند الشاغورى النحوى [٥] ولعلّه من تلامذة ابن مالك ، وأتقن النحو ، وظنّ أنّهم يجعلونه مكان ابن مالك - بعد وفاته - فى التدريس بالعادلية ولمّا خرجت الوظيفة عنه تألّم ؛ ورحل إلى اليمن ، غضبا على أهل دمشق ، وأخذ معه الشرح الذى بقى مخروما بين الناس .

* وضع له أبو حيّان شروحا مستوفاة ، منها « التذييل والتكميل فى شرح التسهيل ، و« التنخيل » الملخص من شرح التسهيل [٦] .

* وشرحه ابن شيخ العوينة [٧] ، ولم يكمله [٨] .

---

(١) انظر : الغيث المسجم ١ / ٦٨ ، وفى الوافى بالوفيات ١٩ / ٤٩٤ ذكر أنّه لم يكملها .

(٢) الغيث المسجم ١ / ٧١ ، وأعيان العصر ٤ / ٦٤٢ .

(٣) انظر : بغية الوعاة ١ / ١٣٤ ، وكشف الظنون ١ / ٤٠٥ ، ومقدمة شرح التسهيل ١ / ١٧ .

(٤) أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله ، جمال الدين ، الطائى ، الجيانى (٦٠٠ - ٦٧٢ هـ) أحد الأئمة فى علوم العربية ، وصاحب الألفية . انظر : الأعلام ٦ / ٢٣٣ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٢٣٤ .

(٥) أبو بكر بن يعقوب بن سالم ، الديرى ، الرحبى (ت ٧٠٣ هـ) نحوى ، طبيب ، له مصنفات . انظر : الوافى بالوفيات ١٠ / ٢٦٧ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٧٧ .

(٦) الوافى بالوفيات ٥ / ٢٨٠ ، وراجع عن شرّاح التسهيل : كشف الظنون ١ / ٤٠٥ ، وتاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ق ٣ / ٢٧٧ .

(٧) أبو الحسن ، على بن الحسين بن قاسم ، زين الدين ، الموصلى (٦٨١ - ٧٥٥ هـ) فقيه ، نحوى ، أصولى ، مفسر ، نظم « الحاوى الصغير » وغيره .

انظر : أعيان العصر ٣ / ٣٣٥ ، والأعلام ٤ / ٢٨٠ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٧٧

(٨) أعيان العصر ٣ / ٣٤٥ ، والوافى بالوفيات ٢٢ / ٦٧.

وإذا كان الصفدىلم يذكر أنَّ له إسهاما فى شرح التسهيل فإنّ نسبة تكميل الشرح إليه من الإمام السيوطى – وهو من هو توثيقا ، وإتقانا – لا يمكن أن يكون بلا أساس ، وبخاصّة أنّ الإمام السيوطى من أكثر المؤرخين إحاطة بكتب الصفدى .

وسأثبت هنا ما جاء من نصوص الكتابين الآخرين ؛ لنتبيّن منها فكر المؤلف النحوى ، وطريقة تناوله للقواعد .

التعليقة على الحاجبية

جاء فى الغيث المسجم خمسة نصوص من هذا الكتاب ، وهى :

النص الأول عن المبتدأ وسبب رفعه [١]

« والمبتدأ قال الشيخ بدر الدين ابن مالك [٢] : هو الاسم المجرّد عن العوامل اللفظية ، غير الزائدة ، مُخْبَرًا عنه ، أو وصفا رافعا لمكتف به . وقد اخْتُلِفَ فى رافعه :

فقيل : الابتداء ، وهو جعلك الاسم أوّل الكلام ، وهذا أمر معنوى ، والعامل المعنوى لم يأت على النحاة إلاَّ فى موضعين : هذا ، والثانى « وقوع الفعل المضارع موقع الاسم ؛ حتى أُعْرِب ، وهذا قول سيبويه [٣] ، وأكثر البصريين ، وأضاف الأخفش إليهما موضعا ثالثا ، وهو عامل الصفة ؛ فذهب إلى أنّ الاسم يرتفع لكونه صفة لمرفوع ، وينتصب لكونه صفة لمنصوب ، وينجر لكونه صفة لمجرور ، وكونه صفة فى هذه الأماكن معنى يعرف بالقلب ، وليس للفظ فيه حظ ، وما أحسن قول القائل :

---

(١) الغيث المسجم : ١ / ٦٨ .

(٢) أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن عبد الله ، ابن الناظم (ت ٦٨٦ هـ)

نحوى ، عروضى ، بلاغى ، طبع له شرح ألفية أبيه ، و « المصباح » فى المعانى والبيان . انظر : الأعلام ٧ / ٣١ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٣٩ .

(٣) أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قَنْبُر، البصرى ، الحارثى بالولاء ، (١٤٨ -١٨٠ هـ) إمام النحاة ، و أول من بسط علم النحو .

انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [١٧١ – ١٨٠] ١٥٤ ، والأعلام ٨١/٥ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٠ .

قَالُوا : أَحَبَّ حَبِيبًا مَا تَأَمَّلَهُ فَكَيْفَ حَلَّ بِهِ لِلسُّقْمِ تَأْثِيرُ ؟

فَقُلْتُ : قَدْ يَعْمَلُ الْمَعْنَى لِقُوَتِهِ فِي ظَاهِرِ اللَّفْظِ رَفْعًا ، وَهْوَ مَسْتُورُ

وقيل [١] : رافع المبتدأ التجرُّد عن العوامل ، وليس بشيء ؛ إذ العدم لا يكون علّة للوجود ، وفيه نظر .

وقيل : رافعه الخبر ، وهو باطل ؛ لأنّ الخبر متأخّر عنه وضعا .

وقيل : بل هما مترافعان .

وقيل : الابتداء رافعهما ، وهو ضعيف ؛ لأنّ المعنى ما له هذه القوة وقيل : الابتداء رفع المبتدأ والمبتدأ رفع الخبر ، وهو أقرب الأقوال وقد استوفيت هذه المسألة فى التعليق لى على الحاجبية » .

النص الثانى عن المفعول به [٢]

« قال الشيخ جمال الدين ابن الحاجب [٣] : هو ما وقع عليه فعل الفاعل .

قال النيلى [٤] فى الشرح : يريد بالوقوع : التعلُّق ، لا المباشرة وإلاَّ لخرج مثل أردت الطلاق ؛ لعدم المباشرة ، واحترز بقوله « عليه » من الظرف ؛ لأنَّ الفعل يقع فيه ، لا عليه ، ومن المفعول له ؛ فإنَّ الفعل يقع لأجله ، ومن المفعول معه ؛ لأنّه يقع معه ، لا عليه ، ومن المفعول المطلق ؛ لأنَّه نفس الفعل الواقع من الفاعل .

وقيل : المفعول به : هو المقول فى جواب مَنْ سأل : بمن تعلّق هذا الفعل ؟ فيقول المجيب : بزيد ؛ فلتقييده فى السؤال والجواب بالباء سُمِّى المفعول به .

قلت : كيفما حاول النُّحاة رسم المفعول به لا يخلصون من إيراد عبد القاهر

---

(١) قبل هذه الفقرة مُلْحَة فقهية عن غسل الإناء إذا وَلَغَ فيه الكلب ؛ ليبين منها أنّ دليل النحاة واه ، كدليل الفقهاء ، وأنّ الظاهرة لا تعلل .

(٢) الغيث المسجم : ١ / ٢٣٣ .

(٣) أبو عمرو ، عثمان بن عمر بن أبى بكر (٥٧٠ - ٦٤٦ هـ) فقيه مالكى من كبار علماء العربية ، صاحب « الكافية الشافية » . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٢٦٤ ، وعيون التواريخ ٢٠ / ٢٤ ، وفوات الوفيات ٣ / ٤٢ ، والوافى بالوفيات ١٩ / ٤٨٩ ، والمنهل الصافى ٧ / ٤٢١ ، والدليل الشافى ١ / ٤٤٠ ، والأعلام ٤ / ٢١١ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٦٥ .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

الجرجانى فى إعراب « خَلَقَ اللهُ العَالَمَ » ؛ لأنَّه قال : العالم هنا مصدر ، لا مفعول به ؛ لأنَّ المفعول به : هو الذى كان موجودا ، وأثَّر فيه الفاعل شيئا آخر بفعله ، والمصدر : هو الذى لم يكن موجودا ، بل كان عَدَمًا محضا ، والفاعل مُوجِدُه ، ومُخْرِجُه من العَدَم إلى الوُجُود ، بفعله ، و« العالم » فى قولنا : « خَلَقَ اللهُ العَالَمَ » كذلك ، فكان مصدرا .

واعترض عليه بأنَّه : لو كان مصدرا لكان نفس الخلق ، ولا يجوز أنْ يكون ذلك لوجهين :

أحدهما : أنَّا نعلم العالم ، مع الشك فى كونه مخلوقا لله تعالى ، إلى أنْ نعلم ذلك بدليل منفصل .

فالعالم على هذا معلوم ، وكونه مخلوقا له تعالى غير معلوم ؛ لتوقفه على الدليل ، والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ، فكان الخلق غير العالم .

الثانى : أنَّ الله تعالى يوصف بالخلق ، فلو كان الخلق العَالَم ؛ لكان الله موصوفا بالعَالَم ، وهو لا يجوز ؛ لأنَّه يلزم من ذلك وصف القديم بالحادث ، أو قدم العالم .

قلت : الجواب عن الإيراد الذى أورده الإمام عبد القاهر : هو أنَّ الكلام إنَّما هو فى اصطلاح النحاة ، وهذا المصطلح إنَّما هو فيما يعرض لأواخر الكلم من الرفع والنصب والجر ؛ لاتصاف الكلمة تارة بالفاعلية ، وتارة بالمفعولية ، وتارة بالإضافة ، إلى غير ذلك ، فإذا قلنا : خلق الله السموات والأرض قلنا : هذه الكلمات المركّبة المسموعة نسمّيها فى اصطلاحنا فعلا ، وفاعلا ، ومفعولا ؛ فرفعنا اسم الله تعالى على أنّه فاعل ، ونصبنا السموات ، والأرض على المفعولية ؛ لوقوع فعل الفاعل عليهما ، ولا يلزمنا من هذه العبارة التى أوقعناها على هذه الألفاظ أنْ يكون المعنى فى الأصل قد وقع ، وتجدّد ؛ لأنَّ الألفاظ أدلَّة على المعانى ، والدليل غير المدلول ؛ ولأنَّ الاسم غير المسمى ، وإلاَّ لزم احتراق فم من تلفَّظ بالنار ، ولزم إذا قلنا : أعدم الله العالم ، وأقام القيامة ، وأمات زيد أنْ يكون هذا كله قد وقع الآن ، وتجدَّد ، ونحن نجد هذا باطلا ، على أنَّنى أعتقد أنَّ الإمام – رحمه الله – كان يعتقد بطلان هذا الإيراد ؛ وإنَّما أورده مغالطة ، وإظهار صناعة ، فى البحث ، لا غير .

واختلف فى ناصب المفعول به ، فمذهب سيبويه أنَّه الفعل ولذلك تعدَّدت المفاعيل ، بحسب اقتضاء الفعل لها ؛ لأنَّ الفعل إنْ اقتضى مفعولا نصبه ، أو اثنين نصبهما ، أو ثلاثة نصبها ، ومذهب ابن هشام [١] أنَّه الفاعل ؛ لأنَّه الذى أثَّر فيه فى المعنى ، فيؤثر فيه فى اللفظ .

قلت : وهذا ليس بشىء ؛ لأنَّ الفاعل يُضْمَر ، والمضمر لا يعمل فى المظهر ؛ ولأنَّهم قسّموا الفعل إلى لازم ، ومتعدّ ؛ فدلّ على أنَّ العمل له .

ومذهب الفرَّاء [٢] أنَّه الفعل والفاعل ، قياسا على الابتداء والمبتدأ فى الخبر ، والشرط وحرف الشرط فى الجزاء ، على قول من يراه .

ومذهب الأخفش أنَّ العامل فيه هو الفاعليّة ، وليس بشىء والصحيح مذهب سيبويه ، وقد أشبعت القول على ما يتعلّق بهذا فى التعليقة على الحاجبية » .

النص الثالث عن ما لا ينصرف [٣] فى إعراب قول الطُّغَرَائى [٤] :

وَالرَّكْبُ مِيلٌ عَلَى الأَكْوَارِ مِنْ طَرِبٍ ... صَاحٍ ، وَآخَرَ مِنْ خَمْرِ الْكَرَى ثَمِلِ

قال الصفدى : « وآخر : الواو عاطفة ، عطفت آخر على طَرِبٍ ولم ينجر ؛ لأنَّه غير منصرف ، فعلامة الجر فيه فتحة ، وإنَّما قلنا : إنَّه غير منصرف ؛ لأنَّ فيه علّتين فرعيّتين من العلل التسع ، وهما : العَدْل ، والصّفة ؛ والعدل فيه تحقيقى ؛ لأنَّ آخر

---

(١) أبو محمد ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ، جمال الدين (٧٠٨ - ٧٦١ هـ) من أئمة النحو ، صاحب « مغنى اللبيب » .

انظر : أعيان العصر ٣ / ٥ ، وفيات السلامى ١ / ٣٦٤ ، وتذكرة النبيه ٢٣٦/٣ ، والذيل التام ١٧٥ ، والأعلام ٤ / ١٤٧ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٦٣ .

(٢) أبو زكرياء ، يحيى بن زياد بن عبد الله (١٤٤ - ٢٠٧ هـ) إمام العلماء الكوفيين فى النحو واللغة والأدب ، له مؤلفات .

انظر : نور القبس ٣٠١ ، والتمييز والفصل ١ / ٢٤٣٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ١١٨ ، والأعلام ٨ / ١٤٥ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ١٩٨ .

(٣) الغيث المسجّم ١ / ٣٠٤ .

(٤) أبو إسماعيل ، الحسين بن على بن محمد ، مؤيد الدين ، الأصبهانى (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) شاعر ، من الوزراء الكتاب ، صاحب لامية العجم . انظر : الوافى بالوفيات ١٢ / ٤٣١ ، والأعلام ٢ / ٢٤٦ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ٣٦ .

من باب أفعل التفضيل ، وهذا الباب شرطه ألاَّ يستعمل إلاَّ مضافا ، أو بالألف واللام ، أو بمن ؛ ولهذا لَحَّنُوا أبا نُوَاس [١] فى قوله [٢] :

كَأَنَّ صُغْرَى ، وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

لأنّه استعمل أفعل التفضيل بغير شرطه ، وأجاب ابن أبى الحديد رادًّا هذا القول على ابن الأثير ، فى المثل السائر بأنْ قال : لا يُنْكَر أنَّ كثيرا من أئمة العربية طَعَنَ فى هذا البيت ، ولكن انتصر له كثير منهم ، فقالوا : وجدنا فَعَلَى أَفْعَل - فى غير موضع - واردة بغير لام ، ولا إضافة ، ولا مِنْ ، مثل « دُنْيَا » ، فى قول الرَّاجز [٣] :

فِى سَعْيِ دُنْيَا طَالَمَا قَدْ مُدَّتِ

وقول الآخر [٤] :

وَإِنْ دَعَوْتِ إِلَى جُلَّى وَمَكْرُمَةٍ [يَوْمًا سَرَاةَ كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا]

وقول الآخر [٥] :

لا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا ، وَهْيَ مقْبِلَةٌ

وقالوا : طُوبَى لك .

وفى البيت وجه آخر ، وهو أنْ تكون « من » فى قوله « مِنْ فواقعها » زائدة ، على مذهب أبى الحسن [٦] ، فى زيادة « مِنْ » فى الإيجاب [٧] ، فإنّه يذهب إلى

---

(١) أبو على ، الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمى (١٤٦ - ١٩٨ هـ) شاعر العراق فى عصره ، عالم ، فقيه ، محدّث . انظر : جمهرة أنساب العرب ٤٠٨ ، والأغانى ٢٠/ ٣ ، ونهاية الأرب ٤ / ٣٨ ، وأبيات المغنى ٣ / ٤٢ ، ومرآة الجنان ١ / ٤٤٩ ، والأعلام ٢ / ٢٢٥ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٣٠٠ .

(٢) ديوانه ٧٢ .

(٣) الرجز للعجاج . راجع تخريجه فى شرح التسهيل ٣ / ٦٤ .

(٤) نسب البيت للمرقش الأكبر ، ولبشامة بن حزن النهشلى . راجع تخريجه فى المصدر السابق .

(٥) لم أهتد لقائله ، ولا لتكملته ، والشطر فى الفلك الدائر ٤٣ .

(٦) سعيد بن مسعدة ، الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) نحوى ، لغوى ، أديب ، عروضى . انظر : نور القبس ٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٠٦ ، والوافى بالوفيات ١٥ / ٢٥٨ ، والأعلام ٣ / ١٠١ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ٢٣١

(٧) راجع شرح ابن عقيل ٢ / ١٧ .

ذلك ، ويحتجّ بقوله تعالى : ﴿ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ [١] ، أى فيها برد ، وهذا يرجّح أنْ يكون « كبرى ، و صغرى » فى البيت مضافتين ، وقد وقع الاتفاق على جوازه .

قلت : قال الشيخ بهاء الدين ابن النحاس [٢] : هذا عجيب من مثل هذا الرجل الفاضل ، أمّا إيراده « دنيا » وأخواتها فكل وجوهها مذكورة فى كتب النحاة ، بما يغنى عن الإطالة بذكره ، بخلاف صغرى وكبرى ، وأمّا قوله بزيادة « مِنْ » فكأنّه يظن أنَّ مِنْ إذا كانت زائدة كان الجر بالإضافة ، أو كانت الإضافة باقية ، وهذا لا وجه له ، وإنّما الجر بحرف الجر ؛ لأنّ حروف الجر لا تُعَلَّق . وأمّا زيادة حرف الجر بين المضاف والمضاف إليه فلم يقل به أحد إلاّ فى مثل « لا أبا لك » على شذوذ ، وليس هذا منه ، ولا يريد الأخفش بقوله : إنّ « مِنْ » تزاد فى الإيجاب ما أراده ابن أبى الحديد . أ هـ .

قلت : قال النحاة : وربّما استعملوا هذه الصفات استعمال الأسماء ، فحذفوا الألف واللام ، نحو قولهم « دنيا » ؛ لأنّها - وإنْ كانت صفة - فقد غُلِّبَتْ ، وصارت بمنزلة الأسماء غير الصفات ، ومثله جُلَّى ، وأنشدوا الأبيات التى أنشدها ابن أبى الحديد ، وأمّا من قرأ : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [٣] بغير تنوين ، ومن أنشد [٤] :

وَلا يَجْزُونَ مِنْ حُسْنَى بِسُوءَى

---

(١) سورة النور ٢٤ : ٤٣ .

(٢) أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم بن محمد (٦٢٧ - ٦٩٨ هـ) النحوى ، شيخ العربية بالديار المصرية . انظر : أعيان العصر ٤ / ١٩٤ ، وتالى وفيات الأعيان ١٤٣ ، والأعلام ٥ / ٢٩٧ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٢١٩ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٨٣ .

(٤) رواية البيت فى شرح الحماسة للمرزوقى ١ / ٣٨ ، وفى اللسان « سوأ » ١ / ٩٦ :

وَلاَ يَجْزُونَ مِنْ حَسَنٍ بِسَيْءٍ وَلاَ يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ بِلِينِ

ولا شاهد فيه على هذه الرواية ، وفى خزانة البغدادى « مِنْ حَسَنٍ بِسُوءَى » أوردها القالى فى أماليه ، وأبو تمّام فى أول حماسته ، وسوءى : مصدر كالرُّجْعَى ، والبُشْرَى ، وليس مؤنث أسوأ . راجع خزانة الأدب ٦ / ٤٣٤ ، و٨ / ٣١٤ ، والبيت لأبى الغُول الطُّهَوِى : وهو شاعر من تميم . انظر فى ترجمته أعلام تميم ٤٢٦ .

فليستا بتأنيث أحسن ، وأسوأ ، بل هما مصدران كالرُّجْعى ، والبُشْرَى .

وقد اختلف النحاة فى الصرف ما هو ؟

فقال قوم : التنوين وحده . وقال آخرون : الجر والتنوين .

واختار الأول جمال الدين محمد ابن مالك [١] ، والدليل على أنَّه أقوى من أربعة أوجه :

الأول : أنّه مطابق لاشتقاق اسم الصرف ؛ فإنّه مأخوذ من صريف ناب الإبل ، والبَكَرَة ، والقلم : وهو الصوت الذى يسمع من هذه الأشياء ، قال الشاعر [٢] :

[مَقْذُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُهَا] لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ

يعنى : البَكَرَة .

الثانى : أنّ الاسم الذى لا ينصرف يدخله الجر مع الألف واللام ، والإضافة ، مع وجود مانع الصرف فيه .

الثالث : أنَّ الشاعر إذا اضطرّ إلى التنوين فى المرفوع والمنصوب نوّن ، ويقال : اضطُرّ إلى ذلك ، ولا جَرّ .

الرابع : أنَّه إذا اضطُرَّ إلى التنوين فى الجر جرَّ ، ونوَّن ، ولو كان الجر من الصرف لفتح ونوّن ، وإنَّما كان باب « ما لا ينصرف » ممنوعا من الجر ، والتنوين قياسا على الفعل ، إذْ لا جرّ فيه ، ولا تنوين ؛ لكون الفعل فرعا على الاسم ، على الصحيح ، والعلل المانعة من الصرف كلُّها تتفرّع على ما سواها ؛ فإذا دخلت على الاسم ألحقته بالفرعيَّة ، وخلّصته من الاسميّة ، إلاّ بقية ؛ فلهذا أُعْرِب إعراب الفعل ، ومُنِع ما مُنِع منه الفعل ، فإذا « أضيف ، أو دخلته الألف واللام ، أو من » قوِيت الاسميّة فيه ، وتمحّض فيها ؛ فدخل فيه الجرّ .

وإنَّما قلت : إنَّ العلل المانعة من الصرف فروع ؛ لأنَّ العَدْلَ فرع على المعدول عنه ، سواء كان تقديرا أو تحقيقا ، والصفة فرع على الموصوف ، والتأنيث فرع على

---

(١) انظر : شرح التسهيل ١ / ٤١ .

(٢) البيت للنابغة فى اللسان « صرف » ٩ / ١٩١ ، وهو من شواهد سيبويه ، انظر : تحصيل عين الذهب ٢٢٢ ، وفى الحاشية تخريجه .

التذكير ، والمعرفة فرع على النكرة والعُجْمَة فرع على العربية ، والجمع فرع على المفرد ، والنون والألف الزائدتان فرعان على ما زيدتا عليه ، ووزن الفعل فرع على وزن الاسم ، فإذا حصل فى الاسم عِلّتان من هذه شابه الفعل فى الفرعيّة ؛ فأُعْطِيَ ما أُعْطِي ، ومُنِع ما مُنِع ، وإنَّما تَبِعَ التنوين الجر ؛ لأنَّه لو جُرَّ بغير تنوين لالتبس بالمضاف إلى النفس .

وبالجملة ففى باب « ما لا ينصرف » مباحث دقيقة ، استوفيتها فى التعليقة على الحاجبية ، من أوّل الباب إلى آخره » .

النص الرابع عن الفاعل [١]

« قال الشيخ بهاء الدين ابن النحاس : الفاعل أصل المرفوعات ، وباقيها محمول عليه ، خلافا لابن السَّرَّاج [٢] ، وأبى على [٣] ، ومن رأى رأيهما ؛ والدليل على ذلك أنّ المعنى الذى دخل الإعراب الكلام لأجله ، وهو رفع اللبس يوجد فى الفاعل أكثر من المبتدأ ؛ لأنَّ الفاعل لو لم يرفع لالتبس بالمفعول ، ولا كذلك المبتدأ ؛ فكان الفاعل أصلا فى الرفع ، وأصل هذا الخلاف مأخوذ من قول سيبويه ، وفعله ؛ فإنَّه قال : واعلم أنَّ الاسم أوّل أحواله الابتداء ، فنصّ - هنا - على أنَّ المبتدأ قبل الفاعل ، وقدَّم فى ترتيب أبواب كتابه باب الفاعل على باب المبتدأ . أ هـ

قلت : وإنَّما اخْتُصَّ الفاعل بالرفع لأوّليّته ، وقوّته ، وقلّته .

واخْتُصَّ المفعول بالنصب لتأخّره ، وضعفه ، وكثرته ؛ ولذلك قالوا : رجل ضُحَكَة - بالتحريك - للذى يضحك من غيره كثيرا ، وقالوا رجل ضُحْكَة - بالسكون - للذى يُضْحَك منه فحرّكوا الفاعل لقوّته ، وسكّنوا المفعول لضعفه ،

---

(١) الغيث المسجم : ٢ / ١٠ .

(٢) أبو بكر ، محمد بن السّرى بن سهل (ت ٣١٦ هـ) أحد أئمة اللغة والأدب ، طبع له كتاب « الأصول فى النحو » .

انظر : الأعلام ٦ / ١٣٦ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١٩ .

(٣) الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار ، الفارسى (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ) أحد الأئمة فى علم العربية ، له كتاب « الإيضاح » . انظر : الوافى بالوفيات ١١ / ٣٧٩ ، والأعلام ٢ / ١٧٩ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٠٠ ، و١٣/ ٣٨٠ .

وإنّما قلت : لأوّليّته ؛ لأنّه الذى يُوجِدُ الفعل ، قبل أنْ يكون مفعولا . وإنّما قلت : وقوّته ؛ لأنّه الذى يصدر منه الفعل ، والمفعول يقع عليه الفعل . وإنّما قلت : وقِلّته ؛ لأنّ الفاعل الواحد يدير مفاعيل كثيرة . تقول : ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا يوم الجمعة داخل داره ضربا شديدا تأديبا ، فزيد فاعل ، وعمرا مفعول به ، ويوم الجمعة ظرف زمان ، وداخل داره ظرف مكان ، وضربا شديدا مفعول مطلق ، وتأديبا مفعول لأجله ، ومن هذه الأدلّة يظهر عكسها ، فى النصب ، ووجه اختصاص الرفع بالفاعل أنَّ الرفع أثقل الحركات ؛ لأنّه لا يتمُّ إلاَّ بضم الشفتين ، وذلك لا يتمّ إلاَّ بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرف الشفة ، والجرّ يكفى فى تحصيله العضلة الواحدة الجاذبة ، والفتح يكفى فيه العمل الضعيف لتلك العضلة ، فلذلك أعطو الأثقل للأقلّ ، وأعطو الأخفّ للأكثر ، ولا شكّ فى أنَّ المرفوعات أقل من المنصوبات ، وقال بعض النحاة من أهل الكوفة : إنَّ الفاعل يقدّم على فعله وضعا ، كما يقدَّم طبعا ، يقولون فى مثل « زيد قام » : إنَّه من باب الفعل والفاعل ولا يجعلونه من باب المبتدأ والخبر ، وهو دليل لا بأس به .

والصحيح أنَّ الفعل مقدّم على الفاعل ، بمعنى ما ذكروه ؛ لأنَّ الفعل هو مؤثر الرفع فى الفاعل ، والمؤثر مقدّم على المتأثر طبعا ، فليقدّم وضعا ، فإذا وقع الكلام قبل فعله خرج من باب الفعل والفاعل إلى باب المبتدأ والخبر ، وأُعْرِب « زيدٌ » مبتدأ ، و« قَامَ » فعل ماض ، وفاعله ضمير يرجع إلى المبتدأ ، والجملة خبر وإلاّ لزم القائل بتقديم الفاعل على الفعل أنْ لا يختلف الحال فى تقديمه وتأخيره ، وأنْ يقال : الزيدان قام ، والزيدون قام ؛ ولمَّا قيل : « الزيدان قاما ، والزيدون قاموا » علم أنّ ذلك مبتدأ ، وأنَّ الضمير هو الفاعل .

وهذه المباحث ملخّصة مما ذكرته فى التعليقة على الحاجبية » .

النص الخامس عن النداء [1]

« يا حرف نداء ، وحروف النّداء خمسة ، وهى : الهمزة ، وأىْ ، ويا ، وأَيَا ، وهَيَا .

---

(١) الغيث المسجم : ٢ / ٣٧٩ .

أمَّا الهمزة فإنَّها للقريب ، مثل الذى يليك ، وأىْ : لأبعد منه كالّذى تراه قريبا ، ويا : للبعيد قليلا ، وأيا : لأبعد منه ، وهَيَا للبعيد الَّذِى يحتاج إلى مدِّ الصوت ، و«يا» تستعمل للجميع .

وقد يُنَزَّل البعيد قريبا ، والقريب بعيدا ؛ لفوائد يعرفها أرباب المعانى .

وقد اعْتُرِضَ على النحاة أجمع فى قولهم :

« الكلام لا يتركب من اسم وحرف » بمثل « يا زيد » فإنَّه بالإجماع منهم كلام ، وقد تركّب من اسم وحرف .

والجواب : أنَّ هذه أسماء أفعال ؛ لأنَّ « يا » بمعنى : أقبل ، كما أنَّ « صَهْ » بمعنى : اسْكُتْ .

ومن قال : إنَّها أسماء أفعال خلص من هذا الإيراد ، ولكن تُعَكِّر عليه « الهمزة » ؛ فإنّه ما لهم اسم فعل من حرف واحد .

ومن قال : إنَّها حروف أجاب عن هذا الإيراد بأنَّ التقدير فى « يا فلان » : أدعو فلانا ؛ وأورد عليه أنّ « يا زيد » صيغة إنشاء ، ومتى قُدِّرَ : « أدعو زيدا » انقلب من الإنشاء إلى الإخبار واحتمل الصدق والكذب ، وهذا باطل ؛ فإنَّ من قال : يا زيد ، لا يقال له : صدقت ، ولا كذبت .

والجواب : أنَّ الصيغة مشتركة بين الإنشاء والإخبار ؛ لأنَّ المتكلّم إذا قال : « بعت » فهذا مشترك بين الإنشاء والإخبار ، إذ يحتمل أنْ يكون قد أخبر بأنّه وقع منه بيع فى زمن ماض ، فيقال له : كذبت ، ما وقع منك بيع ، أو صدقت ، وقع منك ذلك .

وما يصرف هذه الصيغة إلى الإنشاء أو إلى الإخبار إلاَّ القرينة ، مثل : ما إذا كان إنسان قد ساومه آخر ، وطلب منه البيع ، فيقول : بعت . فهنا تعيّنت الصيغة بالقرينة إلى الإنشاء .

قالوا : سلّمنا أنّ الصيغة مشتركة بين الإنشاء والإخبار ، ولكن قولنا : « يا زيد » خطاب مع زيد ، ومتى قُدِّر : أدعوا زيدا انقلب الخطاب لغيره ، وهذا مشكل .

وقد استوفيت البحث فيه فى أوَّل التعليقة على الحاجبية .

والمنادى منصوب الموضع واللفظ ، أمَّا إذا كان علما مفردا مثل « يا آدمُ » بنى

على الضم ، أو مفردا - ويراد بالإفراد ههنا أنْ لا يكون مضافا ؛ فإنَّ المنادى المضاف منصوب ، مثل :

يا عبدَ اللهِ - وإلاَّ فالمجموع ، والتثنية غير مفرد ، وهو مرفوع ، يقال : يا زيدون ، ويا زيدان ، فهذا منصوب الموضع .

وأمَّا إذا كان غير مفرد ، أو علم ، فإنّه منصوب اللفظ ، وإنَّما بُنِيَ المفرد على الضم ؛ لأنَّه أشبه المضمر ، والمضمر مبنى ، ووجه الشبه أنَّه مفرد ، كما أنَّه مفرد ، وأنَّه مخاطب ، كالكاف فى أدعوك ، وأناديك ، وأنَّه معرفة ، كما أنَّه معرفة ، ولأنَّه صار مع حرف النداء كالأصوات ، نحو : حَوْب [١] ، وهَيْد [٢] ، وهَلاَ [٣] ، وعَدَس [٤] .

وإنَّما بنى على حركة إشعارا بطروء الحركة ، وتمييزا له على ما لم يدخله الإعراب ، نحو « مَنْ ، وكَمْ » ، وإعلاما بعد الثبوت فى بنائه ، وإنَّما كانت رفعا ؛ لأنّه لو كسر أشبه المضاف إلى ياء المتكلم ، ولو فتح لأشبه المضاف إذا نُودِى فى : يا غلامَ زيد ؛ ولأنّه أُعْطِى أقوى الحركات جبرا له ، لمَّا أُخِذَ منه الإعراب فالمنادى إنْ كان معرفة بُنِيَ على الضم ، نحو : يا اللهُ ، يا محمّدُ ، يا آدمُ . وما أحلى قول ابن عُنَيْن [٥] :

---

(١) **الحَوْبُ** : الجمل ، ثم كثر حتى صار زجرا له .

يقال للبعير إذا زُجِرَ : حَوْبَ ، وحَوْبِ ، وحَوْبُ ، وحَابَ .

ويقال للناقة : حَلْ - بالجزم - وحَلِ ، وحَلَى . انظر : اللسان « حوب » ١ / ٣٤٠ .

(٢) **هَيْدٌ** ، وهِيدٌ ، وهيدِ ، وهَادَ - بالبناء على الكسر فى الأخيرين - : من زجر الإبل ، واستحثاثها . انظر : اللسان « هيد » ٣ / ٤٤٢ .

(٣) **هَلاَ** : زجر للخيل ، أى : توسّعى ، وتنحّى ، وقد يستعار للإنسان .

انظر : اللسان « هلا » ١٥ / ٣٦٣ .

(٤) **عَدَسَ ، وحَدَسَ** : زجر للبغال . انظر : اللسان « عدس » ٦ / ١٣٢ .

(٥) أبو المحاسن ، محمد بن نصر الله بن مكارم ، شرف الدين (٥٤٩ - ٦٣٠ هـ) من كبار شعراء عصره ، له ديوان . انظر : الروضتين ١ / ٢٤٠ ، ومعجم الأدباء ١٩ / ٨١ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣ / ٢٤٥٤ ، والمقفى الكبير ٧ / ٣٢٨ ، والأعلام ٧ / ١٢٥ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٧٩ .

فى الأصل « ابن مادة » والتصحيح من الديوان ٢٢١ ، وفى حاشيتة : ابن مازة هو برهان الدين صدر جهان محمد بن أحمد بن عبد العزيز ، رئيس الحنفية ببخارى ، وفيها مصادر ترجمته .

مَالُ ابْنِ مَازَةَ دُونَهُ ، لِعُفَاتِهِ خَرْطُ الْقَتَادَةِ ، أَوْ مَنَالُ الْفَرْقَدِ
مَالٌ لُزُومُ الْجَمْعِ يَمْنَعُ صَرْفَهُ فِي رَاحَةٍ مِثْلُ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ

وإنْ كانَ مضافا نصبت ، فقلت : يا عَبْدَ اللهِ ، يا غلامَ زَيْدٍ ، فأمَّا إذا لم يكن معرفة ، ولا مفردا ، وهو نكرة لم يقصد لها معيّن ، كقول الأعمى : يا رجلا ، خذ بيدى . فإنَّه ينصب ، وينوّن ، فتقول : يا راكبا ، يا ساهيا ، يا نائما » .

معانى الواو

جاء فى الغيث المسجم من « كراسة » معانى الواو نصّان .

النص الأول (١)

فى إعراب قول الطُّغرائى :

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِى عَنِ الخَطَلِ وَحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِى لَدَى الْعَطَلِ

قال الصفدى : « الواو تكون تارة للعطف ، كهذه ، وهى للتشريك فى الحكم ، بلا ترتيب ، فإنَّ الواو فى قوله تعالى :

﴿ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى ﴾ (٢) ما أفادت الترتيب ، وقيل : لعلَّ السجود كان قبل الركوع ، فى ذلك الزّمان ، ثم نسخ .

وكذا قوله تعالى : ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ (٣) ، والصحيح أنَّ المسيح عليه السلام ما تُوُفِّى ؛ بل رفعه الله إليه ؛ لأنَّ الخبر ورد عن النبىّ ﷺ أنَّه سينزل ، ويقتل الدَّجَّال ، وعلى هذا لا ترتيب فى الواو ، ولكن قال ابن عبّاس (٤) ، ومحمد ابن إسحاق (٥) : متوفّيك : أى مميتك ، والمقصود لا يصل أعداؤك من اليهود إلى

---

(١) الغيث المسجم ١ / ٦٨ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٤٣ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٥٥ .

(٤) أبو العباس ، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، حِبْر الأمّة (٣ ق . هـ - ٦٨ هـ) الصحابى الجليل ، الفقيه ، العالم ، المفسر . انظر : الاستيعاب ٣ / ٩٣٣ ، ومروج الذهب ٣ / ١٠٨ ، وأسد الغابة ٣ / ١٩٢ ، ومعالم الإيمان ١ / ١٠٧ ، والأعلام ٤ / ٩٥ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٦٦ .

(٥) محمد بن إسحاق بن يسار ، المطّلبى بالولاء (ت ١٥١ هـ) مؤرخ ، وهو صاحب السيرة . انظر : الأعلام ٢ / ٢٨ ، ومعجم المؤلفين ٩ / ٤٤ .

قتلك ، ثم أكرمه الله تعالى ، بعد ذلك ، برفعه إلى السماء ، واختلف فى مُدَّة الوفاة ، فقال ابن وهب [١] : توفى ثلاث ساعات ، ثم رُفِع ، وأُحْيِىَ .

وقال محمد بن إسحاق : سبع ساعات ، ثم رفع .

وقال الربيع بن أنس [٢] : نوَّمه حال ما رفعه ، واستشهد بقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [٣] الآية .

وقال أبو بكر الواسطى [٤] : المراد : إنِّى متوفّيك عن شهواتك وحظوظ نفسك .

ومنهم من قال : التوفّى : أخذ الشىء وافيا ، ولمَّا علم الله تعالى أنّ من الناس من يخطر بباله أنّ الذى رفعه الله إنَّما هو روحه ذكر ذلك ؛ ليدلَّ على أنَّ الله رفعه بجسده إليه .

ومنهم من قال : كل من رُفِعَ ، وانقطع خبره وأَثَرُه ، عن الأرض كان كالمتوفّى .

ومنهم من قال : فى الكلام حذف مضاف ، تقديره متوفى عملك ، وهو جائز .

وتارة تكون بمعنى ربّ ، وتارة للقسم ، وتارة تكون واو مع ، وتارة تكون واو الحال ، وتارة تكون ضمير الفاعلين فى مثل « يقومون » أو علامة الرفع ، فى مثل « الزيدون » ، وتارة تزاد فى مرسوم الخط ، فى مثل عمرو ، فرقا بينه وبين عمر ، فإذا دخل تنوين النصب عَمْرًا فلا دخول لها ؛ لأنّ الفرق حاصل ؛ لكون عُمَر غير منصرف .

---

(١) أبو محمد ، عبد الله بن وهب بن مسلم ، الفهرى بالولاء ، المصرى (١٢٥ - ١٩٧ هـ) مفسر ، فقيه ، محدث . انظر : التاريخ الكبير ٣ / ١ / ٢١٨ ، وحلية الأولياء ٨ / ٣٢٤ ، وترتيب المدارك ٢ / ٤٢١ ، وصفة الصفوة ٤ / ٢٨٤ والأعلام ٤/ ١٤٤ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٦٢ .

(٢) الربيع بن أنس ، البكرى ، الحنفى ، البصرى (ت بعد ١٣٧ هـ ٩ محدَّث ثقة ، روى له الأربعة . انظر : طبقات ابن سعد ٧ / ٢ / ٣٦ ، والجرح والتعديل ٣ / ٤٥٤ ، والتاريخ الكبير ٢٧١/٣ ، وتاريخ الإسلام [١٢١ - ١٤٠] ٤١٦ ، والوافى بالوفيات ١٣ / ٨٠ ، وتهذيب التهذيب ٣ / ٢٣٨ .

(٣) سورة الزمر ٣٩ : ٤٢ ، وفى الآية : ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا .. ﴾

(٤) محمد بن محمد بن سليمان ، ابن الباغَنْدِى (ت ٣١٢ هـ) من حفّاظ الحديث ، له مسند عمر بن عبد العزيز . انظر : الوافى بالوفيات ١ / ٩٩ ، والأعلام ٧ / ١٩ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٢٠ .

حُكِى : أنّ بعضهم كان يكتب كتابا ، وإلى جانبه آخر ، فكتب عَمْرًا بغير واو .
فقال له : يا مولانا ، زدها واوا للفرق .
فقال له : والله ، لقد تفضَّل مولانا بزيادة واو .
يعنى أنَّه تُفُوضِل .
وبعضهم يرى أنْ تزاد بعد لا النافية ، فى الجواب .
إذا قيل : هل فعلت كذا ؟ فتقول : لا ، وعافاك الله .
يُحْكَى عن الصَّاحب بن عبّاد [١] أنَّه قال : هذه الواو - ههنا - أحسن من واوات الأصداغ ، فى خدود الملاح .
قال ابن الجوزى جمال الدين أبو الفرج ، رحمه الله تعالى : روينا عن عمر رضى الله عنه [٢] أنَّه قال لرجل عَرَّس : هل كان كذا ؟
فقال : لا أطال الله بقاك . فقال عمر رضى الله عنه : قد عُلِّمْتُم ، فلم تتعلّموا ، هلاَّ قلت : وأطال الله بقاك .
وتارة تكون الواو واو الثمانية فى مثل قوله تعالى : ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [٣] ، وفى قوله تعالى : ﴿ ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [٤] ، وفى قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [٥] ، بالواو هنا ، ولم يأت بها فى ذكر جهنّم [٦] ؛ لأنَّ للنار سبعة أبواب ، وللجنّة ثمانية ...
وحكى لى بعض الأفاضل ، عن بعض الحكّام ، فى المدن الكبرى أنَّه ألقى

---

(١) أبو القاسم ، إسماعيل بن عبّاد بن العبّاس (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) وزير من الكتّاب ، الشعراء . انظر : الوافى بالوفيات ٩ / ١٢٥ ، والأعلام ١ / ٣١٦ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٧٤ .

(٢) أبو حفص ، عمر بن الخطاب بن نفيل ، القرشى العدوى ، الفاروق (٤٠ ق . هـ - ٢٣ هـ) الصحابى الجليل ، ثانى الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشّرين بالجنة . انظر : الاستيعاب ١١٤٤/٣، والمحبر ١٣ ، والإمامة والسياسة ١ / ٢٣ ، والتنبيه والإشراف ٢٨٨ ، والوزراء والكتاب ١٦ ، وأسد الغابة ٤ / ١٤٥ ، ومآثر الإنافة ١ / ٨٧ ، والأعلام ٥ / ٤٥ .

(٣) سورة التحريم ٦٦ : ٥ .

(٤) سورة التوبة ٩ : ١١٢ .

(٥) سورة الزمر ٣٩ : ٧٣ .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [سورة الزمر ٣٩ : ٧١] .

درسا ، فى هذه الآية الكريمة ، وقد قال لى فى حَقِّ أصحاب جهنم أنَّهم لمَّا جاءوها فُتِحَتْ لهم أبوابها ، على التعقيب ؛ لأنَّ الفاء للتعقيب ؛ فلم يمهلوا للدخول ، بل أدخلوا على الفور ، وأمَّا أهل الجنة فإنَّهم لم يُضْطَرُّوا إلى الدخول ؛ بل أُمهلوا ؛ لأنّه قال : وفتحت أبوابها .

قلت : انظر إلى هذه الغفلة ، فى الأولى والثانية كونه ظنّها أولا خارجة عن الكلمة ، ولم تكن من أصلها ، ووجدها ثابتة فى الثانية ، فلم ينكرها ، ونقول : هذه هى تلك ، الحمد لله واهب العقل . أ هـ .

وفى قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (١) ، ولعمرى إنَّ هذا استقراء حسن ، وبعض المحقِّقين منع هذا ، وقال : إنَّما تقع بين المتضادَّيْن ؛ لأنَّ الثَّيِّبات غير الأبكار ، والآمرين ضد الناهين ، وقال فى قصة أهل الكهف : إنَّه أُتِىَ بالواو مع الثمانية ؛ لأنَّ القول الثالث أقرب إلى الحق ، أو هو الحق لأنّه قال فى القولين الأوّلين : ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ ، وفى الثالث قال تعالى : ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ ، وقال فى قصّة أهل الجنة : وأثبت الواو ؛ لأنَّ أبواب جهنّم لا تفتح إلاَّ عند دخول أهلها زيادة فى الضيق ، على مَنْ بها ، وأمَّا أبواب الجنة فإنَّها تُفْتَح لأهلها ، قبل دخولهم إليها إكراما لهم ؛ لقوله تعالى : ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ (٢) .

ورُدَّ هذا القول بأنّ الواو دخلت ، مع تعدد الصفات ، فى قوله تعالى : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ (٣) ، ولم تدخل فى قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ الآية (٤) ، ولا تضاد بين الغفران وقبول التوبة .

قلت : لو سقطت الواو من ﴿ وَأَبْكَارًا ﴾ لاختلّ المعنى ؛ لأنّهن لا يكُنَّ ثَيِّبات وأبكارا معا ، فاضطر إلى الواو (٥) ؛ لتدلّ على المغايرة .

---

(١) سورة الكهف ١٨ : ٢٢ . (٢) سورة ص ٣٨ : ٥٠ .

(٣) سورة غافر ٤٠ : ٣ ، وقد أورد السيوطى رأيا جيدا للشيخ جمال الدين ابن الزملكانى فى نسق الصفات . انظر : الأشباه والنظائر ٤ / ٩٨ - ٩٩ .

(٤) سورة الحشر ٥٩ : ٢٣ .

(٥) لفظ الاضطرار - هنا - غير لائق ، فلا ضرورة فى القرآن ، كما نصّ على ذلك الصفدى . انظر : الغيث المسجم ١ / ٣٦٦ .

قال الشيخ جمال الدين ابن الحاجب - رحمه الله - : إنَّ القاضى الفاضل - رحمه الله - كان يعتقد زيادة الواو ، فى هذه الآية ، ويقول : هى واو الثمانية ، إلى أنْ ذُكِر ذلك بحضرة الشيخ أبى الجود المقرئ [١] فبيَّنَ له أنَّه وهم ، وأنَّ الضرورة تدعو إلى دخولها هنا ، وإلاَّ فسد المعنى ، بخلاف واو الثمانية ، فإنَّه يؤتى بها ، لا لحاجة ، فقال : أرشدتنا ، يا أبا الجود . أ هـ .

والإمام فخر الدين اعترف بأنَّ الواو فى قوله تعالى : ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ واو الثمانية ، وعلى الجملة ، ففى الواو مباحث جليلة ، جمعتها فى كرّاسة ، أضربت عن أثباتها ، هنا خوفا من الإطالة .

والواو التى فى « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ » قال أبو إسحاق الزجّاج [٢] : سألت أبا العباس المبرّد [٣] عن العلّة فى ظهور الواو ههنا ، فقال : لقد سألت أبا عثمان المازنى [٤] عمّا سألت عنه ، فقال : المعنى : سبحانك اللهمّ ، وبحمدك سَبَّحْتُك »

النص الثانى [٥]

نقل الصفدى عبارة ابن مالك ، فى شرح التسهيل ، فى افتقار الفعل المضارع إلى الإعراب ، جاء منها [٦] : « والفعل المضارع - وإنْ كان قابلا بالتركيب لمعان

---

(١) غياث بن فارس ، اللخمى (٥٠٨ - ٦٠٥ هـ) مقرئ الديار المصرية فى عصره . انظر : شذرات الذهب ٥ / ١٧ .

(٢) إبراهيم بن السرى بن سهل (٢٤١ - ٣١١ هـ) عالم بالنحو ، واللغة طبع له « خلق الإنسان » . انظر : الوافى بالوفيات ٥ / ٣٤٧ ، والأعلام ١ / ٤٠ ومعجم المؤلفين ١ / ٣٣ ، و١٣ / ٣٥٥ .

(٣) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، الثمالى ، الأزدى (٢١٠ - ٢٨٦ هـ) إمام العربية ، فى بغداد ، فى زمنه ، له « الكامل » ، و« المقتضب » . انظر : الوافى بالوفيات ٥ / ٢١٦ ، والأعلام ٧ / ١٤٤ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١١٤

(٤) بكر بن محمد بن عثمان (ت ٢٤٩ هـ) أحد الأئمة فى اللغة والنحو ، له « الديباج » ، و« ما تلحن فيه العامة » . انظر : الوافى بالوفيات ١٠ / ٢١١ ، والأعلام ٢ / ٦٩ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٧١ ، و١٣ / ٣٧٦ .

(٥) الغيث المسجم ١ / ٢١٥ .

(٦) شرح التسهيل ١ / ٣٤ .

يُخَافُ التباس بعضها ببعض فقد يغنيه عن الإعراب تقدير اسم مكانه ، نحو « لا تُعْنَ بالجفاء ، وتمدح عَمْرًا » ؛ فإنّه يحتمل أن يكون نهيا عن الفعلين مطلقا ، وعن الجمع بينهما ، وعن الجفاء وحده ، مع استئناف الثانى ؛ فالجزم دليل الأول ، والنصب دليل الثانى ، والرفع دليل الثالث ، ويغنى عن ذلك وضع اسم موضع كل واحد من المجزوم والمنصوب ، والمرفوع ، نحو أنْ تقول : لا تُعْنَ بالجفاء ومَدْحِ عمرو ، ولا تُعْنَ بالجفاء مادحا عَمْرًا ، و لا تُعْنَ بالجفاء ، ولك مدح عمرو » .

يقول الصفدى : إنَّما أثبتّ هذا الفصل بطوله ، من كلام الشيخ جمال الدين ، لما فيه من الفوائد ، وقد خالف الأقدمين فى تعليل إعراب المضارع ، ومال إلى هذا الرأى الذى استنبطه ، وقد خالفه ولده الشيخ بدر الدين ومال إلى مذهب المتقدّمين ؛ ولكن جمال الدين اجتهد فى الاستقراء ، ولطف القياس ، ومثل « لا تُعْنَ بالجفاء ، وتمدح عَمْرًا » مثال النحاة فى قولهم : « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » ، يجوز فى « تشرب » الرفع ، والنصب ، والجزم ؛ أمَّا إذا نصبت فيكون النهى عن السمك فى حال شرب اللبن ، كأنَّك قلت : لا تأكل السمك شاربا اللبن ، وإذا رفعت يكون النهى عن السمك ، والإباحة فى شرب اللبن ، كأنّك قلت : لا تأكل السمك ، ولك شرب اللبن ، وأمَّا إذا جزمت فيكون النهى عن الجمع بينهما » [1] .

منهج الصفدى فى النحو

من النصوص السابقة التى بقيت لنا من كتب الصفدى النحوية يتبيّن لنا أنّ منهج الصفدى فيها لا يختلف عن منهجه فى كتابته التاريخية ، أو النقدية ، فجميعها تصدر عن نبع واحد ، وجميعها نتاج ذهن يقظ ، واع ، فنراه :

* يعرض الآراء ، وينقدها ، ويوازن بينها ، وينتقى أفضلها ، بحسب ما يراه ، هو سواء أكان هذا الانتقاء ، واحدا من الآراء المذكورة ، أم كان رأيا خاصًّا به استنبطه باجتهاده ، وسأضرب أمثلة للآراء التى انفرد بها عندما أبيّن مكانته كعالم فى النحو .

---

(١) بعد هذا المثال نقل الصفدى مناظرة الجاحظ ، ويوحنَّا بن ماسويه عن الجمع بين السمك واللبن ، وما يحدثه من أضرار ، وتحدّث عن خصائص المواد فى إفرادها ، وتركبها . انظر : الغيث المسجم ١ / ٢١٥ .

* يذكر الشواهد النحوية التى ذكرها السابقون ، ولكنه يهمل بيان موضع الشاهد فيها ، كعادته فى ذكر الشواهد .

* يثبت كثيرا من النصوص الأدبية التى لها تعلّق بالقاعدة ، سواء أ وُرِّى بها ، أم استغل مدلولها فى توضيح المعنى ؟ .

* يستطرد إلى ذكر النوادر ، والحكايات ، وعرض بضاعته من المعرفة التاريخية ، وعلوم الطب والحكمة .

* توثيق المعلومات بنسبتها إلى أصحابها ، وإلى مصادرها من مؤلفاتهم ، مع الأمانة فى النقل .

الموضوعات النحوية التى عالجها الصفدى

فيما يلى أقدّم ثبتا بأهم الموضوعات التى بيّن الصفدى قواعدها ، وشرح أصولها ، مرتّبا العناوين على حروف المعجم ، ومصادرها من مؤلفاته :

الاستثناء :

ـ **غير** : الغيث المسجم ١ / ٢٥٦ .

الاستفهام :

ـ **كم** : الغيث المسجم ٢ / ١٧٢ .

اسم المصدر : الغيث المسجم ٢ / ٣٣٥ .

الأسماء الستة : الغيث المسجم ١ / ٢٥٥ .

الأسماء الموصولة :

ـ **حذف صدر الصلة** : الغيث المسجم ٢ / ٢٤٦ .

الإضافة اللفظية والمعنوية : الغيث المسجم ١ / ٢٧٠ .

إنَّ وأخواتها :

ـ حروفها ، وعملها : الغيث المسجم ١ / ٣٥٦ .

ـ كسر همزتها وفتحها : الغيث المسجم ١ / ٣٥٧ .

ـ دخول اللام فى خبرها : الغيث المسجم ١ / ٣٥٨ .

ـ تخفيفها : الغيث المسجم ١ / ٣٥٨ .

ـ كفّها عن العمل : الغيث المسجم ١ / ٣٥٨ .
ـ اتصالها بنون الوقاية : الغيث المسجم ١ / ٣٥٨ .
ـ لعلّ : الغيث المسجم ٢ / ٥ ، و٩ .
التفضيل : الغيث المسجم ٢ / ٣١٠ .
التنازع فى العمل : الغيث المسجم ١ / ٨٧ .
التوكيد :
ـ كل ، وأحكام التوكيد بها : الغيث المسجم ٢ / ٣٧٤ .
ـ جميع : الغيث المسجم ٢ / ٣٧٥ .
الجموع :
ـ إعراب جمع المذكر السالم : الغيث المسجم ٢ / ٦٥ .
ـ جمع المؤنث السالم : الغيث المسجم ٢ / ٨٢ .
حروف الجر :
١ - لات حرف جر عند الكوفيين . الوافى بالوفيات ١٩ / ٤٩٥
ـ إلى : الغيث المسجم ١ / ٣٧٦ .
ـ الباء : الغيث المسجم ١ / ١٠٩ .
ـ حتى : الغيث المسجم ١ / ١٦٢ .
ـ ربّ : الغيث المسجم ١ / ٢٥٣ .
ـ عن : الغيث المسجم ١ / ٦٨ ، و ٣٤٨ .
ـ فى : الغيث المسجم ١ / ١٣٩ .
ـ من : الغيث المسجم ٢ / ٩ .
الشرط :
ـ إنْ ، والفاء فى جواب الشرط : الغيث المسجم ٢ / ٥٥ .
ـ لو : الغيث المسجم ٢ / ٣٦ .
ـ لولا : الغيث المسجم ٢ / ١٥٢ .
ـ ما : الغيث المسجم ١ / ١٠٩ ، و١٨١ ، و٤٠٨ .
ـ متى : الغيث المسجم ٢ / ٩ .

obeikandl.com

ـ اعتراض الشرط على الشرط ، ورد الصفدى – الوافى بالوفيات ١٩ / ٤٩٥ .

الصفة :

ـ شروطها : الغيث المسجم ١ / ١٦٣ .

ـ إقامة الصفة مقام الموصوف : الغيث المسجم ١ / ٣٦٧ .

الضمائر :

ـ عودة الضمير على غير مذكور : الغيث المسجم ٢ / ٢٩٠ .

ـ عودة الضمير على أحد المتضايفين : الغيث المسجم ٢ / ٣٩١

ـ توكيد الضميرين : نصرة الثائر ٢٨١ .

الظرف :

ـ عند : الغيث المسجم ٢ / ٧٢ .

ـ حيث : الغيث المسجم ١ / ٣٨٢ .

ـ بين : الغيث المسجم ٢ / ٣٤٣ .

ـ مع : الغيث المسجم ٢ / ٤٣٩ .

العطف :

ـ أو ، والفرق بين الإباحة والتخيير : الغيث المسجم ٢ / ٥٨ .

ـ الفاء : الغيث المسجم ١ / ٣١٨ .

الفاعل :

ـ الفاعل أصل المرفوعات : الغيث المسجم ٢ / ١٠ .

ـ حذف الفاعل : الغيث المسجم ١ / ١٣٤ .

الفعل :

ـ بناء الفعل للمجهول : الغيث المسجم ١ / ١٣٣ .

ـ ضبط حرف المضارعة : الغيث المسجم ١ / ٢١٣ .

ـ إعراب المضارع : الغيث المسجم ١ / ٢١٣ .

ـ تعدية الفعل على التأويل : الغيث المسجم ١ / ٢٧٩ .

ـ ضبط فاء الثلاثى الأجوف عند البناء للمجهول : الغيث المسجم ١ / ٣٤٠ .

ـ فك إدغام المضعف الثلاثى : الغيث المسجم ١ / ٣٤٨ .

obeikandi.com

ـ فعل الأمر : الغيث المسجم ١ / ٣٧٤ .
ـ فعلا التعجب : الغيث المسجم ٢ / ١٥٠ .
ـ سبب حذف حرف العلّة فى الجزم : الغيث المسجم ٢ / ١٧٢
ـ أفعال تلزم البناء للمجهول : الغيث المسجم ٢ / ١٨٥ .
كان وأخواتها :
ـ أنواعها ، وأحوالها ، وأحكامها : الغيث المسجم ٢ / ١٩٩ .
ـ « يبرح » الفعل تاما : الغيث المسجم ٢ / ١١٥ .
ـ ليس : الغيث المسجم ٢ / ١٨٨ .
ـ أحكام خبر كان وأخواتها : الغيث المسجم ٢ / ٣٦٢ .
المبتدأ والخبر :
ـ تعريفه ، والعامل فيه : الغيث المسجم ١ / ٦٦ .
ـ الوصف المعتمد : الغيث المسجم ١ / ١٣٠ .
ـ تعدد الخبر : الغيث المسجم ١ / ١٣١ .
ـ تقديم المبتدأ ، وتقديم الخبر : الغيث المسجم ١ / ٢٩٣ .
ـ الابتداء بالنكرة : الغيث المسجم ١ / ٣٨٣ .
المثنى :
ـ إعرابه : الغيث المسجم ٢ / ٦٧ ، و١٨٨ .
ـ تثنية المشترك وجمعه : صرف العين ٥٧٣ .
المعرب والمبنى :
ـ بناء الضمائر : الغيث المسجم ١ / ٣٢٥ .
ـ بناء الفعل المضارع : الغيث المسجم ١ / ٤٣١ .
المفعول :
ـ المفعول له : الغيث المسجم ١ / ١٨٠ .
ـ المفعول به ، والرد على عبد القاهر فى إعرابه : الغيث المسجم ١ / ٢٣٢ .
ـ حذف أحد مفعولى ظنّ : الغيث المسجم ٢ / ٣٣٥ .

obeikandi.com

الممنوع من الصرف : الغيث المسجم ١ / ٣٠٤ ، و٣٥٩ ، و٤١٧ ، و٢ / ٢٤٧ .

النداء : الغيث المسجم ٢ / ٣٧٩ .

المسائل النحوية :

* المسألة الزنبورية : الغيث المسجم ١ / ٣٧٠ .
* متعلّق شبه الجملة : الغيث المسجم ١ / ٤١٢ .
* مسائل نحوية : الغيث المسجم ٢ / ١٣٨ .
* ثلاثة عشر مرفوعا فى بيت سيّدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ ، وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

الوافى ٢٤ / ١٢٠ .

* التعليل لرفع كلمة « كلّه » ونصبها فى قول أبى النجم :

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدَّعِى عَلَىَّ ذَنْبًا كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

الوافى بالوفيات ٢٤ / ١٢٠

* « لغز إنّ هنْدُ ... » - الوافى بالوفيات ٢٩ / ٣٧١.

حروف المعانى والحروف المفردة :

الحرف المختص ، وغير المختص : الغيث المسجم ١ / ١٤٩ .

ال : الغيث المسجم ١ / ٤٣٣ .

همزة التسوية : جنان الجناس ٥٥ .

أنْ : الغيث المسجم ٢ / ١٨٧ .

« أنْ » بعد « لمَّا » وأثرها فى الدلالة على تراخى الزمن : نصرة الثائر ٣١٣ .

فاء الفصيحة : الغيث المسجم ١ / ٣٢٤ .

قد : الغيث المسجم ١ / ٣٩٦ .

الكاف : الغيث المسجم ١ / ٨٨ .

لا : الغيث المسجم ١ / ١٤٩ .

اللام : الغيث المسجم ١ / ٢١٧ .

لم : الغيث المسجم ١ / ٣٤١ .

نون الوقاية : الغيث المسجم ١ / ٣٤٠ .

هل : الغيث المسجم ١ / ٣٤٨ .

الواو : الغيث المسجم ١ / ٦٨ ، و٦٩ ، و٢١٥ .

واو الثمانية : الغيث المسجم ١ / ٧١ .

الواو والنون (ون) فى الأسماء ، وفى الأفعال : الغيث المسجم ١ / ٣٦٣, .

موضوعات الصرف :

* اسم المفعول من ذوات الواو « مدووف ، ومصوون » ... الغيث المسجم ١ / ٦٦ .
* أوزان اسم الفاعل ، والصفة المشبّهة : نصرة الثائر ١٦٣ .
* التصغير : الغيث المسجم ٢ / ٨١ ، ١٣٩ .
* حذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وشواهده : الوافى بالوفيات ١٩ / ٤٠١ .
* المصدر يصدق على القليل والكثير ، وحكمه فيما يندرج معه : نصرة الثائر ٣٦٥ .
* وزن كلمة « أشياء » : الغيث المسجم ١ / ٣٦ .

هذا ثبت بالمسائل النحوية فى كتابى الصفدى المتعددى الأجزاء ، وهما أعيان العصر ، والمطبوع من الوافى بالوفيات .

آراء الصفدى النحوية فى أعيان العصر

الجزء	الصفحات
٢	١٩٥ ، ٢١٣ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧ ، ٧١٠ ، ٧١٨
٣	١٧ ، ٣٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٧٠١
٤	١٨٨ ، ٢٤٥ ، ٦١١ ، ٦٣٨ - ٦٤٢
٥	١٥١ ، ٣١٠

آراء الصفدى النحوية فى الوافى بالوفيات

الصفحات	الجزء١
١٩٤ ، ٢٣٩	١
١١٨ ، ٣٣٣	٢
٨٠ ، ٣٦٠	٣
٢٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥	٤
٣٧٠	٦
٥٣ ، ٢٩٠	١٥
٢٤٩ ، ٢٥٠	١٦
١٩٦	١٨
٤٠١ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥	١٩
٥٩ ، ٦٨	٢١
٥٩ ، ١٢٠	٢٤

مكانة الصفدى العلمية فى النحو

تلمذ الصفدى لأبى حيّان النحوى الذى قال عنه [١] :

« أمَّا النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما ، لم يذكر معه ، فى أقطار الأرض غيره ، فى العربية .... وهو الذى جسّر الناس على مصنّفات الشيخ جمال الدين ابن مالك - رحمه الله تعالى - ورغّبهم فى قراءتها ، وشرح لهم غامضها ، وخاض بهم لُجَجَها ، وفتح لهم مقفلها ... والتزم ألاَّ يُقْرِئَ أحدا إلاَّ إن كان فى سيبويه أو فى التسهيل لابن مالك ، أو فى تصانيفه » ، فقرأ عليه النحو ، كما قرأ عليه أشعار الشعراء الستة ، والمقامات الحريرية .

قال أبو حيّان للصفدى [٢] : « لم أر بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك » .

---

(١) الوافى بالوفيات ٥ / ٢٦٧ .

(٢) نفسه ٥ / ٢٦٨ .

obeikandl.com

ويقول عنه ابن تيمية [١] : « هذا ذهن جيّد » .

إنَّ رجلا يصفه أبو حيّان بالفصاحة ، ويشهد له ابن تيمية بجودة الذهن ، لجدير بأنْ يبلغ فى النحو مبلغا عظيما ، وبخاصّة إذا عرفنا أنّه درس كتاب سيبويه ، وكتب ابن مالك ، وأبى حيّان ، وابن الحاجب ، وابن الناظم ، وابن النحّاس ، وابن هشام ، وغيرهم ، درس كل تلك الأمهات دراسة عالم متقن ، وباحث مدقّق ، واقرأ هذا النص لتدرك مدى وعيه بما يقرأ ، قال [٢] :

« إذا لم تخلف الألف واللام » كل « مثل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [٣] ، فهى لبيان الحقيقة ، ذكر ذلك ولده بدر الدين فى شرح الخلاصة ، ونبّه عليه فى التسهيل والده جمال الدين ، ولم أقف عليه فى نسختى ؛ ولعلّه سقط منها لنسيان الناسخ » .

ليس من العجيب إذن أنْ يبلغ الصفدى ، فى النحو مبلغ الاجتهاد ؛ فينفرد بآراء ، لم يسبق إليها ، وقد مرّ بنا منذ قليل تعليله لرأى الجرجانى فى المفعول به [٤] ، وهو ردّ جيّد ، ومقنع يضع المصطلح موضعه من العلم ، ويفرّق بين إشارة اللفظ للمعنى وتطابقه مع الواقع .

وفيما يلى بعض الأمثلة لآرائه النحويّة المتميِّزة :

* فى الشاهد النحوى [٥] :

فَكَيْفَ إذا مَرَرْتُ بِدَارِ قَوْمٍ وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ

قالوا : إنَّ كان زائدة هى واسمها .

يقول الصفدى : « فيحتمل أن تكون على بابها مع التقديم والتأخير ، والتقدير : وجيرانٍ كرامٍ كانوا لنا ، وهذا متّجه ، ولم أر أحدا ذكره [٦] .

---

(١) الوافى بالوفيات ٧ / ٢٠ .

(٢) الغيث المسجم ١ / ٤٣٤ .

(٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٣٠ .

(٤) راجع صفحة ٦١٨ .

(٥) البيت للفرزدق ، وهو من شواهد سيبويه ، ورواية الشطر الأول : « فكيف إذا رأيت ديار قوم » انظر : الكتاب ٢ / ١٥٣ ، وتحصيل عين الذهب ٢٩٥ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٢٨٩ .

(٦) الغيث المسجم ٢ / ٢٠٠ .

ويبدو أنَّ الصفدى لم يطّلع على رأى المبرّد ، فقد جوّز أنْ تكون « لنا » خبر كان ، وكأنّه قال : وجيران كانوا لنا كرام [١] وعلى هذا التقدير يكون الفصل بين الصفة والموصوف بجملة كاملة ، وقد ردّ ابن ولاّد [٢] هذا التقدير [٣] .

ولكن تقدير الصفدى فى التقديم والتأخير يزيل الفصل بين الصفة والموصوف ، وهو أفضل من تقدير المبرّد .

* فى بيت الطغرائى :

تَنَامُ عَنِّى ، وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ وَتَسْتَحِيلُ ، وَصِبْغُ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلِ

يقول الصفدى [٤] : « سَاهِرَةٌ : مرفوع على أنَّه خبر المبتدأ .

والأحسن أن تكون « ساهرةً » منصوبة على الحال ، والخبر محذوف ، كما قُرِئ : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ [٥] بالنصب ، معناه :

ونحن نُرَى عصبة ، فكذا يُقَدَّرُ هنا : وعين النجم تُرَى ساهرة ، إذ المعنى : أتنام عنِّى ، وهذه عين النجم تُرَى ساهرة ؛ لأجلى ، وتستحيل علىَّ ، وهذا صبغ الليل يُرَى غير حائل ؟

وفى تقديره هكذا توبيخ له ؛ لكونه من ذوى الحواس ، وقد نام عنه ، واستحال عليه ، وهذان غير حاسَّيْن ، ومع ذلك فقد سهرت عين النجم ، ورئت ، فى حال غير نائمة ، ولم يستحل صبغ الليل رحمة ، ووفاء .

وإذا جعلت « ساهرةٌ » خبرا لعين النجم ، وصبغ مبتدأ ، ولم يحل الخبر ، وكانت الجملة فى الموضعين فى تقدير الحال ذهب معنى التقريع والتوبيخ الذى تقرّر ، ويعود المعنى : أتنام عنّى ، والحال من النجم والليل كذا ، وكذا ؟

وإنْ شئت قدَّرْت عين النجم خبرا ، والمبتدأ محذوف ، تقديره : وهذه عين

---

(١) المقتضب ٤ / ١١٦ .

(٢) أبو العبّاس ، أحمد بن محمد ، التميمى (ت ٣٣٢ هـ) نحوى . انظر : الوافى بالوفيات ٨ / ١٠١ ، والأعلام ١ / ٢٠٧ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٩٥ .

(٣) الانتصار لسيبويه على المبرّد ١٣٩ .

(٤) الغيث المسجم ١ / ٣٤١ .

(٥) سورة يوسف ١٢ : ٨ .

النجم ساهرة ؛ ويكون فيه معنى زائد فى التوبيخ ؛ لأنَّك إذا قلت : أ يخفى عليك ما أردت ، وهذا الطفل قد فهمه ؟ فيه معنى زائد على قولك : أ يخفى عليك ما أردت ، والطفل قد فهمه ؟

بقى فى البيت سؤال [١] وهو : أنَّ مفعول « تستحيل » ما هو ؟ ؛ لأنَّ تستحيل من الاستحالة ، وهى استفعال من الإحالة ، تقول : استحال زيدٌ على عَمْرٍو .

فالجواب : أنَّه محذوف ، تقديره « عَلَىَّ » ، وحَسَّنَ حذفه كونه معلوما من السياق ؛ فنَّه إذْ قال : تنام عنِّى ، علم أنَّ معنى قوله : وتستحيل ، أى : عَلَىَّ ، فهو جار ، ومجرور موضعه النصب على المفعوليّة .

فى كل القواعد التى أوردها الصفدى ، ذكر شواهدها النحوية ، وتركت دراسته كتب ابن مالك ، وتفسير أبى حيّان أثرا واضحا فى كتبه ، بعامّة ، فقد تعرّض لأكثر آيات القرآن الكريم ، التى يُشْكِل إعرابها ، أو فيها قراءات تحتاج إلى توجيه ، كما يذكر من الأحاديث الشريفة ما يثير قضايا نحوية ، فمن ذلك .

* ومن مشكل هذا النوع - يريد : بناء الفعل للمجهول - قراءة ابن كثير [٢] وعاصم : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [٣] بضم الياء فى يسبّح ، وفتح الباء ، على بناء مالم يسم فاعله .

قال بعض العلماء : حَذْف الفاعل ، هنا ، وإبهامه على السامع مدح عظيم ؛ لأنّه إذا حُذِف الفاعل اقتضى أنَّ الذين يسبّحون الإنس ، والجن ، والملائكة ، والخلق أجمعون ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [٤] على أحد الأقوال ، ثمَّ إنّه تعالى خصّهم بالذكر فى قوله : ﴿ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ ﴾ أى : صفتهم ما ذكر من المدح تشريفا لهم ، وعناية بهم ؛ فكأنَّ السامع تشوَّق إلى أنْ يعلم مَنْ

---

(١) الغيث المسجم ١ / ٣٤٢ .

(٢) أبو معبد ، عبد الله بن كثير ، الدارى ، المكّى (٤٥ - ١٢٠ هـ) أحد القراء السبعة ، وقاضى الجماعة .

انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ٤٠٩ ، والأعلام ٤ / ١١٥ .

(٣) سورة النور ٢٤ : ٣٦ ، و٣٧ .

(٤) سورة الإسراء ١٧ : ٤٤ .

هم المسبّحون ، فعقّبه بقوله : ﴿ رِجَال ﴾ الآية ، والوقف فى هذه القراءة على الآصال ويبتدئ بقوله : ﴿ رِجَال ﴾ ولو وقف على رجال كان كفرا .

أثار الصفدى كثيرا من القضايا النحوية فى إعراب آيات القرآن الكريم لم تكن تشغل العلماء ، فمن ذلك :

* فى قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾[1] سأل عددا من العلماء شعرا ، ونثرا عن السبب فى ذكر المفعول به ، والضمير المتصل يغنى عن ذكره ، لو قال : « استطعماهم » ، وهو أخصر ، فممن سألهم : ابن شيخ العوينة ، والقحفازى ، وتقى الدين السبكى .

* سأل الصفدى ابن تيمية عن قوله تعالى : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [2] قال : « المعروف بين النحاة أنّ الجمع لا يوصف بما يوصف به المفرد من الجمع بالمفرد من الوصف .

فقال : كذا هو . فقلت : ما مفرد متشابهات ؟ فقال : متشابه . فقلت : كيف تكون الآية الواحدة فى نفسها متشابهة ، وإنّما يقع التشابه بين آيتين ؟ .

وكذا قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ [3] كيف يكون الرجل الواحد يقتتل مع نفسه ؟ .

فعدل بى من الجواب إلى الشكر » [4] .

وكثيرا ما كان يثير قضايا نحوية ، أو يشير إليها ، وفى غالب الأحيان لا يهتم بشرحها ، ثقة منه بعلم القارئ ، فمن ذلك « كان الشيخ نجم الدين [5] يقول فى

---

(١) سورة الكهف ١٨ : ٧٧ ، وقد ذكر السؤال ، والجواب فى تراجم المذكورين . راجع : أعيان العصر ٣ / ٣٣٨ ، و٣٤١ ، و٣٦٨ ، و٣٧٠ ، والوافى بالوفيات ٢١ / ٥٦ ، ٨٦ ، وفيهما رد ابن شيخ العوينة ، والقحفازى ، ووعد الصفدى بأن يذكر رد السبكى فى ترجمته ، ولكنه سها عنه ، وقد أورد السيوطى السؤال ، ورد التقى السبكى فى الأشباه والنظائر ٤ / ٩٩ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٧ .

(٣) سورة القصص ٢٨ : ١٥ .

(٤) الوافى بالوفيات ٧ / ٢٠ .

(٥) هو الحسن بن محمد ، خطيب صفد ، سبقت ترجمته فى صفحة ٦٣ .

الخطبة الثانية ، عند الترضّى على الخلفاء الراشدين : المُكَنَّى بأبى بَكْرَ الصدّيق ، وأبى حَفْصَ ، وأبى عَمْرَو [١] ، ولا ينوّن بَكْرًا ، ولا حَفْصًا ، ولا عَمْرًا وهو وجه فى أبى بكر حَسَنٌ ، وفيما بعده ضعيف » [٢] .

لم يذكر الصفدى وجه استحسان منع أبى بكر من الصرف وضعف غيره ، ولم أجد فى كتب النحو التى اطّلعت عليها من أشار إلى ذلك ، غير أنّنى وجدت فى لسان العرب أنّ من معانى « البَكْر » : الفَتِىُّ من الإبل ، وقد يطلق على الأنثى ، وروى قول عمرو بن كلثوم [٣] :

ذِرَاعَىْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ غَذَاهَا الْخَفْضُ ، لَمْ تَحْمِلْ جَنِينَا

فاللفظ إذن يحتمل المنع من الصرف للعلمية والتأنيث على هذا الوجه ، ويعطى النحاة العَلَمَ المركب إضافيا حكم المتضايفين مع إعطاء الجزء الأخير حكم العلم ؛ فيمنع من التنوين إنْ وجد سبب لذلك [٤] ، ولم أهتد إلى السبب الذى جعل الصفدى يصف الاسمين الآخرين بضعف منعهما من الصرف إلاَّ إذا اعتبرنا حفصا مرخم حفصة فى غير نداء ، وإعطاء عَمْرٍو حكم عُمَر .

وبالرغم من أنّ المؤلف يرى ضعف تعليل النحاة ، إلاَّ أننا نجده حريصا على التعليل لكل قاعدة يذكرها [٥] ، من ذلك قياسه الاسم الممنوع من الصرف على الفعل فى عدم تنوينه [٦] .

وبالرغم مما عُرف عن الصفدى من الدّقة والإتقان ، إلاَّ أنَّه يسهو ، ويقع فى الأخطاء البسيطة ، ففى قول الطغرائى :

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِى عَنِ الْخَطَلِ وَحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِى لَدَى الْعَطَلِ

---

(١) كان سيّدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - يكنى بأبى عمرو ، وأبى عبد الله .

(٢) أعيان العصر ٢ / ١٩٥ .

(٣) لسان العرب « بكر » ٤ / ٧٩ ، والشاعر هو : أبو الأسود ، عمرو ابن كلثوم بن مالك (ت نحو ٤٠ ق . هـ) شاعر تغلب فى الجاهلية ، ومن أصحاب المعلّقات . انظر : الأعلام ٥ / ٨٤ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ١١ .

(٤) راجع شرح الأشمونى ١ / ١٠١ .

(٥) انظر : الغيث المسجم ١ / ٦٧ ، ونصرة الثائر ٨٢ .

(٦) راجع صفحة ٣٦١ .

فإنَّه يعرب التاء التى فى الفعلين « صانتنى ، وزانتنى » قائلا :

« التاء : ضمير يرجع إلى أصالة ، وهو فى موضع رفع ؛ لأنَّه فاعل صان » [١] ، والصحيح أنّها تاء التأنيث الساكنة ، حرف لا محلّ له من الإعراب ، والفاعل ضمير مستتر .

فسبحان من كتب على عباده الخطأ والنسيان ، واختص نفسه ، بالكمال ، وحده سبحانه وتعالى .

بقى أنْ نعرف رأى الصفدى فى ضرورة تعلم النحو ، فهو يراه يجنّب صاحبه اللحن ، ولا يفيد تعلّمه فى الكبر ، فالنحو « علم صِغَر ، يحتاج إلى أنْ يمتزج باللحم والدم » [٢] .

---

(١) الغيث المسجم ١ / ٦٨ .

(٢) أعيان العصر ٥ / ١٧ .

obeikandl.com

obeikandl.com

الخاتمة

obeikandl.com

obeikandl.com

فى دائرة المعارف الإسلامية ، كتب المستشرق كرنكو تعريفا بالصفدى ، ومؤلفاته ، وأباح لنفسه أنْ يصف بعض مؤلفاته الشعرية بـ « التفاهة » ، وربما هو لم يقرأها ، وإنْ قرأها لم يتذوّقها ، وقد يكون له عذره ، ولكن ما عذر الباحثين العرب الذين أخذوا يردِّدون هذا القول « التافه » - منذ ظهرت هذه الكلمة المضللة - دون أنْ يرجعوا إلى الكتاب الموصوف بهذه الصفة ، يقرءونه ، وينقدونه ، ويحكمون عليه حكما منصفا ؟ .

كما كانت لشهرة الصفدى كمؤرخ أبلغ الأثر فى صرف الباحثين عن دراسة الجوانب الخصبة عند هذا الرجل الموسوعى فى الشعر ، والنقد ، واللغة ، والنحو .

وكان الهدف من هذه الدراسة تصحيح المفاهيم الخاطئة عنه والكشف عن آثاره المتعدِّدة ، فى فروع الثقافة السائدة ، فى زمنه وبيان ما له فيها من يد بيضاء ، ليس باعتباره رجلا من أبرز رجالات عصره ، فحسب ، بل باعتباره الأنموذج الأكمل المصوّر للقرن الثامن الهجرى فى علومه ، وآدابه ، وأسلوبه .

امتاز الصفدى بأخلاق حميدة ، وصفات طيّبة ، وعفّة فى لسانه ، وعدل فى أحكامه ، ونزاهة فى أقواله ، وأمانة فى نقله وتوثيق لمعلوماته ، وملاحظة دقيقة واعية فاحصة لكل أحداث وقته فى السياسة ، والحرب ، والاجتماع ، والثقافة ؛ لذلك ترك أثرا لا يُجْحد فى كل من جاء بعده من المؤرخين ، والأدباء .

غير أنَّ أبرز ما تفرّد به هو منهجه القائم على الانتقاء ، فهو يعرض الآراء عرضا شاملا وافيا ، ثم ينتقى أفضلها ، أو يبتكر رأيا لم يسبق إليه .

وقد أحببت أنْ أختم هذه الدراسة بالتنبيه على التخطيط المحكم الدقيق الذى يصنّف به كتبه ؛ فهو يرسم خطّة متقنة للكتاب قبل البدء فى كتابته ، بكل تفاصيلها ، وجوانبها ؛ فالملاحظ فى الغيث المسجم ، مثلا ، أنّه قسّم قواعد النحو على أبيات القصيدة ، ورتّب المعلومات ، والاختيارات الشعرية المناسبة للمعنى ، والموضوعات الأدبية ، واللغويّة التى سيعرضها عقب شرح كل بيت ، بل ونسّق الملح ، والاستطرادات التى سيُطْرف بها قارئه ، ويشوقه ، ويروّح عنه .

والدليل على ذلك أنّه يقول [١] :

* « لعلّ من أخوات إنّ ، تنصب الاسم وترفع الخبر ، وقد تقدَّم الكلام على تعليل هذا العمل فى قوله :

« إنّى أريد طروق الحىّ من إضم .... البيت » .

* ويقول [٢] : « ثم مات شبيب [٣] ، وعَمِى أَرْطَأَة [٤] ، فكان يقول : ليت شبيبا كان عاش ، ورآنى أعمى ، وستأتى جملة تتعلّق بذكر العمى فى الكلام على قوله :

« أعدى عدوّك .... البيت » .

فنراه يذكر المعلومات السابقة فى موضعها ، وينبّه على المعلومات القادمة فى موضعها ، وكأنّه يقرأها على خارطة خطته المرسومة ، وفى الواقع لا تكاد تمر معلومة ، ويعود إلى ذكرها إلاّ نبّه على موضعها السابق ، وسبب الاستشهاد بها فى الموضعين ؛ وهذا يوضّح الدقّة المتناهية فى رسم الخطة ، أولا قبل الشروع فى التأليف ، ثم الالتزام بها .

فصّلت القول عن مؤلفاته ، وبيّنت موضوعها ، وخطتها ، وما اشتملت عليه ، واستبعدت الكتب التى نسبت إليه خطأ .

ثمّ تحدّثت عنه كمؤرخ ، ثبت ، وشاعر من كبار شعراء عصره ، وناقد كبير بعث فى النقد الروح الأدبية التى عرفت عند عبد القاهر الجرجانى ، المعتمدة على أرفع أمثلة الشعر ، وأوضحت إسهامه فى علوم اللغة ، والنحو .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الغيث المسجم ٢ / ٩ .

(٢) الغيث المسجم ٢ / ٢٣٢ .

(٣) شبيب بن يزيد بن جمرة ، ابن البرصاء (ت نحو ١٠٠ هـ) شاعر بدوى هجّاء . انظر : الوافى بالوفيات ١٦ / ١٠٥ ، والأعلام ٣ / ١٥٧ .

(٤) أبو الوليد ، أرطأة بن زفر بن عبد الله ، ابن سُهَيَّة (ت بعد ٦٥ هـ) شاعر ، معمّر ، من فرسان الجاهلية . انظر : الوافى بالوفيات ٨ / ٣٤٨ ، والأعلام ١ / ٢٨٨ .